

فاذا كان ابو العلاء يبكت الوليد يوم القيامة لو لقيه من اجل مذمة بغداد فلا شك ان صاحب المنهل لا ينفك عنه حتى يعاقبه بالسجن لان ذم المرأة على كل حال اشد من ذم بغداد

ولقد انتقد اقدم هذا الكتاب في جريدة الظاهر الغراء فكانت في جملة ما دافع به عن حرية شعراء العرب وعدم تهيبهم بمدوحهم قوله ان مسلماً بن الوليد لم يكن يتهب بمدوحه بدليل قوله لاحدم واقسم لولا حاجز الود بيننا . وكان مع العتي المودة والفضل وانملة قدمها لك لا يد اساءك مني ماسررت به من قبل فان ذاك المدافع قد زعم ان مسلماً كان يخاطب رجلاً من الاكابر والحقيقة على ما نعلم انه كان يخاطب بتلك الايات امرأة كان طلقها وفي جملتها يقول فبيني فقد فارقت غير ذميمة قضاء دعانا للقطيعة لا الاختل ويقول ايضاً منها

سلوت ولو قال العواذل لا يسلو واقسمت لا يرقى الى مسمعي العذل وعلى هذا تكون حرية مسلم في مخاطبة امرأة لا رجل وقد تاذب في الذي خاطبها به ولكنه لو كان يخاطب يزيداً الشيباني مثلاً وهو من جملة مدوحيه لما جسر فيما نظن ان يواجهه بمثل تلك الهجة

وانما ما اخترنا ذكر المرأة آنفاً الا لعلاقتها بهذه الجملة ولذلك نشكر صاحب المنهل بالخصوص لدفاعه عنها ثم نشكره لما عاناه من نشر هذه المباحث المفيدة التي توسع مدارك القارىء وتغرس في نفسه حب النقد والتنبه الى ما يريد انتقاده والاحاطة بجميع جوانبه

كتاب اولادي - (تابع ما قبله)

الفصل الاول

الارادة والاخلاق

تعلم ان تكون صاحب ارادة وقم بما هو واجب عليك . بهذه الكلمات القليلة تلخص شتى الوصايا التي يشاد عليها بناء الحياة الشاهق لا جرم ان القيام بالواجب هو الوصية الذهبية التي تعتبر فريدة عقد السلوك والمرجح الاكبر في التأثير على حياة الانسان ومركزه . ولكن للعمل بها لا يكفي ان يرغب الانسان في ذلك بل ينبغي ان يكون قادراً على العمل وان يكون صاحب ارادة ونشاط وله سلطان على نفسه يقودها حيث شاء ولا تقوده الاميال والاهواء . وفي هذه النقطة من الصعوبة ما لا يخفى بل هذه هي النقطة التي يتحتم على الشاب الداخل في الحياة ليخوض غمارها ويدفع تيارها ان يصرف في سبيلها كل جهده وقواه لتهديب نفسه وتقويم معوجها بحيث يصبح مطلق التسلط عليها وعلى جميع نزعاتها وعلى جسمه وعلى كل حركاته واعماله

وكل من امكنه التسلط على نفسه امكنه ان يكون رجل خير وبمعنى اعم امكنه ان يكون ولي الامر في تصريف الشؤون التي تتعلق بحياته وان يوفر لنفسه اسباب السعادة والهناء

ولكن كيف يتيسر للانسان ان يضمن تأثير هذا السلطان الدائم على

نفسه وهو امر يبدو في الاول صعباً شاقاً ثم يصبح مع المزاولة والاستمرار سهلاً سبيله خفيفاً حملاً

ثم كيف يتمكن من مدافعة الاميال الشائنة وما تستدرج المرء اليه من التجارب التي تطيف به من كل صوب وناحية وكيف يتغلب على ما يتهدد العقل من الجنوح الى الخمول والجمود والاسترسال الى الاهواء الطبيعية التي يحلو موردها ولكن يمر منها المصدر؟

انما يتم تذليل هذه العقبات كلها وتتوفر اسباب الفوز عليها بتمرين الارادة وتقويتها . الا ترى كيف ان القيصر اغسطس لما تقابل برجال حاشيته الذين تأمروا على قتله تغلب على غيظه فكظمه وعلى غضبه فاجلمه وعلى ميله للانتقام فردعه حتى تمكن من كبح جماح هذه العواطف الثائرة في صدره ليبوأ مكانها العقل والحلم والرشاد ولا شك ان المعركة التي قامت في نفسه كانت هائلة ولكنها انجلت عن نصر نشر اعلامه على العالم اجمع ودل على انه اذا كان في الحقيقة القيصر صاحب الصولجان فهو القيصر صاحب السلطان على النفس واهوائها

اما الرجل الواهن العزم المعدم من الارادة والسلطان على نفسه فانه لا يدري شيئاً من امثال هذه المعارك النفسية بل هو يتدحرج على المهواة التي تدفعه اليها اقل نزعة من نزعات النفس دون ان يكون له من العزم ما يقوى به على المقاومة او المدافعة وما هكذا حال من صلبت ارادته وتعود مغالبة نفسه حتى يتغلب عليها فانه يمهّد لها اسباب النصر ويضمن لها على تمادي الزمان وتأصل العادة رجاحة العقل ووفور الحكمة

وقد قال سينيكا اذا شئت ان تمتلك العالم فليمتلكك العقل اولاً .

وقد يمكن التصرف بهذا الكلام اذا وجهناه الى رجل القرن العشرين فننقله اليه بما يرادفه من قولنا : لا تكون اهلاً لان تدبر شؤون الغير الا اذا كنت ذا سلطان على نفسك وكان العقل رائد اعمالك والمسيطر على امورك فالشرط الاول الذي يناط به تفوق المرء على الاقارب وتجليته في حلبة الميدان هو الشرط نفسه الذي يمهّد للانسان سبيل السعادة ويجعله من الاخيار الصالحين

اذا عرفنا هذا الامر افلا يخلق بنا ان نجهد النفس في سبيل تحقيقه والبلوغ اليه وان نضحي في ايام الشباب كثيراً من اللذات التسافهة الزائلة لنصل الى امتلاك قياد الاهواء ثم لنتمكن بارادتنا من اخضاعها لعامل العقل؟ ولقد اعتبر الفلاسفة الارادة من اولى قوى الانسان العقلية ولا يضارعها في الاهمية الا الفهم الذي يسوس الفكر والتمييز ومعرفة الواجب ثم الشعور المسيطر على العواطف والاحساسات والرغائب

ولقد اتفق العقل السليم والفلسفة على وضع الارادة في الصف الاول من قوى الانسان العقلية واعتبارها من صفات الرجل الجدير بهذا الاسم ألا ان ارادة حازمة قوية تستطيع كل شيء في مجال الادبيات حتى انه يمكنها الاتيان باشيء جمّة في مضمار الماديات ايضاً

وعندي ان صاحب الارادة هو وحده الرجل الحر لدى الحقيقة فهو ذو السلطان على مداركه وعلى اعماله بقوة افكاره وعواطفه حتى تخيله كيف شاء ويخضع كل ما به لعامل العقل سائراً على موجب نواهييه واوامره متبعاً جادة الزمة والضمير وعندئذ يصبح قادراً على ان يعمل بقواعد الحياة التي رسمتها يد الحكمة على لوح العقل

ولا سبيل لكبح جماح الالهواء وردھا عما يمكنها ان تورده المرء من حياض الشر او توقعه فيه من نخاخ التهور ومهالك الخطر الا بالارادة القوية بحيث اذا ضعفت هذه الالهواء وتلاشت قويت مكانها الاميال الشريفة التي ترفع الانسان الى اسنى المراتب واعلى الدرجات وبالارادة يحارب شيطان البدوات الذي هو وليد الضعف والاسترخاء فلا يعود الانسان مصغياً الا الى ما كان منطبقاً على سنن الواجب موافقاً للعقل . ولا بد من ارادة حديدية ليكون الانسان صالحاً فاضلاً فاذا تمت له هذه الارادة امكنه الطموح الى ارق ذرى الكمال مهما كان يشوبه من نقص واياً كان مزاجه او طبعه وكيفما كانت امياله واختلاقه

ولا يخلق بنا لدى اجتياز مفازة هذا العمر وقضاء شتى حاجات الحياة اليومية ان نقف حيارى عند كل شأن منها لننعم النظر فيما يلائم وما لا يلائم قضاؤه منها بل يجب ان ندخر من القواعد الثابتة المقررة لدينا ما تكفي الاشارة الواحدة من الارادة الدائمة التيقظ للاستعانة بها على البت فيما ينبغي فعله والتعويل عليه بلا تردد ولا ابطاء

ولا اخالك وانت عارف قيمة القناعة الا وقد رسمت لنفسك خطة الاعتدال في المأكل والمشرب وقررت الافلاع عن التدخين والمسكر لما فيهما من الاذى والضرر ولكن التجارب لصرفك عما عزمت عليه كثيرة جمة تحتاطك من كل جانب اذا لم تنجذك الارادة فتقصيها عنك بعيداً وهكذا اذا تعودت الفوز في البسيط من الامور صارت قوية للفوز في العظيم الخطير منها

ويوجد غير ذلك كثير من الصفات التي يجب مقاومتها بالارادة .

مثال ذلك . لنفرض انك من رجال العلم او من ارباب المكاتب الذين يعملون طول نهارهم ويكدحون وهم قعود وانت تعلم كم ان الرياضة البدنية ضرورية للصحة ولصيانة جوهرها . ولكن من قضى النهار مثلك متعب الجسم مكدود الفكر يميل ولا شك الى الراحة في بيته او الى التماس السرور من معاهد اللهو والصفاء وان يكن لانفع للجسم . من كل هذا ولذلك قد تدفعك اللذة الى مطاوعة هذا العمل معاً فيه من المخالفة لقواعد الصحة ومبادئ الحكمة . على حين انه لو كان لك من الارادة ما يكفي لصده هذه الرغبة لاعطيت جسمك قسطه من الرياضة والحركة وكنت من الكاسبين وعدا ان هذا التمرين جزيل الفائدة بنفسه حسن العائدة فان له المزية الكبرى في غرس ملكة الارادة في الانسان وتتميتها حتى تكون على تمام الالهة لمكافحة الصعاب واقتحام المواقف الحرجة حيث الفوز موقوف على الثبات والحزم

وكما قلنا ان الخير لا يرجى نيله في الشؤون العمومية الا بالارادة هكذا نقول عن الشؤون الخصوصية ايضاً . نعم ان الارادة ليست بالاداة الوحيدة لاتمام النجاح الا انها الشرط الاساسي الذي بدونه لا تفيد شيئاً الشروط الاخرى . واذا كانت الارادة على العموم ذات علاقة كلية بكل مسألة استوضحنا ثناياها امكننا الحكم في ماهية التأثير الذي هي محدثه في حياة لا ينفك عنها فعلها ولا يرث حبل الارتباط الواصل بينهما

ولا مشاحة ان الرجل الذي احرز قوة الارادة يكون هو المتصرف في تدبير اموره غير تارك لمقدور الاتفاق الا الاقل من الفعل في مجرى وجوده ليقى العامل الوحيد في اسعاد نفسه ونجاح احوالها . بعكس الرجل

اخلو من الارادة فان مبلغ تأثيره على نفسه يكون ضعيفاً جداً حتى ولو كان وافر الذكاء شديد الخدق اذ انه لا يبرح العوبة يسد الحوادث وريشة في مهب الريح يسلم امره الى الاتفاق والقدر ويمضى في الحياة كالسفينة بلا سكران وسط بحر عجاج سائراً على غير هدى تتجاذبه الاهوية والتيارات وتقاذفه الامواج الى ان تبثله اللجة وبئس المصير

والحمد لله ان الرجال الخاملين المستنيمين الى حد العدم من الارادة انما هم الفئة القليلة ومثلهم اصحاب العزيمة النادرة والارادة القوية الذين خلقوا للعمل والجد فان عديدهم قليل ايضاً ويا للأسف

بقي اصحاب الارادة الضعيفة والتردد في العمل وهم الذين يكونون القسم الاكبر من الناس والذين كان بإمكانهم ان يصيروا الى احسن لو تعلموا كيف يريدون وما هذا التردد وهذا الوني اللذان يشعرون بهما الا ادواء عارضة تتحول مع الوقت اذا تمكنت حتى تصير شللاً في الارادة ويعتبر التردد في بعض الحالات من اشد العيوب خطراً بل هو اذا اصاب اولي الرئاسة قاد الى افطع النوائب وجرّ اوحم العواقب

ولا جرم ان الصفة الجوهرية التي يمتاز بها قائد الجنود وزعيم الشعب انما هي الحزم والارادة

يتبين مما تقدم ان المرء في الحياة العمومية كالحياة الخصوصية يحتاج الى التخلق بالامضاء في الامور بلا تردد ولا وهن ولسنا في حاجة الى الاستشهاد بحوادث التاريخ لاثبات ما تستطيعه الارادة القوية فكلها تؤيد هذا الامر وتبرهن على صوابه بل لم يرو عن سياسي محنك او قائد شهير البقية تأتي

✽ حديث عن معمل ✽

في اوروبا واميركا معامل يبلغ الكبر بعضها احياناً الى ان تصل الى حد المدن كما هو شأن معمل المدافع لكروب ولعله يكون موجوداً في اميركا ما هو مثله او اعظم منه لان تلك البلاد بلاد العجائب وقد ذكرنا عن مجزر شيكاغو من قبل ما يصح ان يتخذ نموذجاً لسائر معاملها اما معامل انكلترا فانها وان لم تكن على تلك الضخامة فان بعض معاملها ما يستخدم المدن بأسرها كبعض معامل الصابون والخبور . ومما يذكر منها الان معمل نوع من الخلاء يدعى (بسكويت) يصدر من معمل هنتلي وبالمر فانه يملأ مدائن الارض كلها تقريباً حتى انك لو طفت كل هذه البلاد لما وجدت دكان بدال خالياً منه ولذلك يستخدم ذاك المعمل لصنعه سبعة الاف عامل يشتغلون السنة بطولها لامداد الناس بهذا الصنف الكمالي الذي يوجد له مآت من المعامل في انكلترا وسواها

ومما يذكرونه عن مصنوعاته في السنة الماضية انها بلغت ٤ الاف و٥٠٠ مليون قطعة وهي لو صفت واحدة الى جنب اخرى لطوقت الكرة الارضية خمس مرات . وهي تصنع بمعدل ١٥ مليوناً كل يوم ما عدا الاحاد والاعياد . اما اللبن الذي يحتاج اليه لمزجه بها فيجلب من ١٩ الف بقرة والبيض الذي يضاف اليه يؤخذ من ١٥٠ الف دجاجة وتبلغ مساحة الارض التي يوضع عليها دقيق هذا المعمل ٣٦ فداناً وبلغ عدد المركبات